وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

النظام الاجتماعي في القرآن الكريم
سورة الإسراء مثالا

م. م. دعاء شاكر كاظم

الباحثة: نهلة شاكر كاظم

الملخَّص:

القرآن هو دستور الأمة العربية ويحتوي على كل ما يحتاجه الفرد من قضايا اجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية...إلخ. وقد جاء ذلك مصرَّحًا في كثيرٍ من آياته، وسورة الإسراء هي أنموذج هذا الفيض العظيم الذي كرمنا الله تعالى به ومنَّ علينا بإنزاله على النبي صلى الله عليه وآله، وكان البحث بعنوان: «النظام الاجتماعي في القرآن الكريم سورة الإسراء مثالا» والنظم الاجتماعية من السنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنَّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنسانًا آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يعق والديه ولا يعمل بالعدل.

الكلمات المفتاحيَّة: النظام الاجتماعي، القرآن الكريم، سورة الإسراء

Summary:

The Holy Quran is the Arab nation's constitution and contains all the social, educational, political, economic, etc.

- what is needed and beneficial to all people-

This was stated in many of its verses, especially in "al-Israa Sur'ah." which has the best example of its greatness which Allah honored us with and blessed us to recite (its verses), following prophet Mohammed's religion. The research was titled " Holy Quran's social order, Surah Al-Israa as an example." The social orders of Allah's Sunnah(s) were put by Allah in his Holy book and ordered after by his Prophet Mohammed in his call for religious, educational, political, and economic reform. These Sunnah(s) came to help Human beings from the bad aspects of life So that no human being can do injustice to another, denying vices and parents' disobedience.

مقدمة:

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا، ومن سَيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ الله فلا مُضلَّ لهُ، ومن يُضلل فلا هادي لَهُ. والصلاةُ والسلامُ على النبيّ الصادق الأمين، أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ:

فيُعدّ القرآن الكريم دستورًا في نظم الحياة وانتظامها، فهو يحتوي على كل ما يحتاجه الفرد من قضايا اجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية...إلخ. قال تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، وسورة الإسراء هي جزء من هذا الفيض العظيم الذي كرمنا به ومنه علينا بإنزاله على النبي صلى الله عليه وآله، والنظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنسانًا آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يعق والديه ولا يعمل بالعدل.

وقد جاء البحث مكونا من أربعة مطالب، الأول كان بعنوان: النظم في اللغة والاصطلاح، والثاني بعنوان: خصائص النظام الاجتماعي، فيما جاء الثالث بعنوان: التعريف بسورة الإسراء، وما اشتملت عليه هذه السورة من الأوامر والنواهي وقضايا تربوية واجتماعية، والرابع جاء بعنوان: النظام الاجتماعي في سورة الإسراء، فتحدثت فيه عن بر الوالدين، والنهي عن قتل الأولاد، والتوسط في الإنفاق، والنهي عن الزنا، والنهي عن التصرف بمال اليتيم، والحث عن العدل في الميزان.

ثم أردفْتُ هذه المطالب بخاتمةٍ تضمنتْ أهمَّ النتائجِ التي توصلتْ إليها الدراسة.

وأتقدّم بالشكر والثناء إلى كلّ من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث، أسأل الله تعالى أنْ يتقبله منّا، وأن يجعلَهُ ممّا يُنتفعُ به.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ المصطفى و آله الطاهرين.

المطلب الأول: النظم في اللغة والاصطلاح:

النظم الاجتماعية في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة التي ذكرت في القرآن الكريم، لكي يقوم الإنسان بالإلتزام بها والقيام بها، ليتم له النجاة في الدارين ويكسب رضا الرحمن، وفي بادئ الأمر ينبغي التعرف على النظم لغة: «النَّظْمُ نَظْمُكَ خَرَزًا بَعْضَهُ إلى بعض في نِظامٍ واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمرِه نظام، أي لا تستقيم طريقته. والنِّظام: كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَم به لُؤْلُؤٌ أو غيره فهو نظام، والجميع نُظُم، وفِعْلُكَ النَّظْم والتَّنظيم... والانتِظامُ: الاتِّساقُ»[١] و«قَالَ اللَّيْث: النَّظْمُ، نَظْمُك الخَرَزَ بَعْضَه إِلَى بعضٍ فِي نظامٍ وَاحِد، كَذَلِك هُوَ فِي كل شَيْء حَتَّى يُقَال: لَيْسَ لأمر نِظامٌ، أَي لَا تَستقيمُ طَرِيقَتُه حَتَّى يُقَال: طَعَنَه بِالرُّمْحِ فانْتَظَم ساقَيْه أَو جَنْبَيْه. وَقَالَ الْحسن فِي بعض مواعظه: يَا ابْن آدم عَلَيْك بِنَصيبك فِي الْآخِرَة فَإِنَّهُ يَأْتِي على نَصِيبك من الدُّنْيَا فَيَنْتَظِمه لَك انْتظامًا، ثمَّ يزولُ مَعَك حَيْثُمَا زُلْتَ. وكل خَيْطٍ يُنْظَم فِيهِ لُؤْلؤ أَو غَيره فَهُوَ نِظامٌ وَجمعه نُظُمٌ»[٢] وقال أحمد أبن فارس: «النُّونُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشِّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنِّظَامُ: الْخَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ. وَالنِّظَامَانِ مِنَ الضَّبِّ: كُشْيَتَانِ مِنْ جَنْبَيْهِ، مَنْظُومَانِ مِنْ أَصْلِ الذَّنَبِ إِلَى الْأُذُنِ»[٣].

أما في الاصطلاح فهو: «مجموعة المبادئ، والتشريعات، والأعراف، وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة الدولة، وبها تنظم أمورها، ولعل هذا التعريف على إجماله يلم بدلالات النظام وبجوانبه المتعددة. وقد يطلق النظام»[٤] و«يراد

(١) العين، الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي:٨/ ١٦٦.
(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب:١٤/ ٢٨٠.
(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون:٥/ ٤٤٣.
(٤) منهل الثقافة التربوية، د. سعيّد علي الغامدي:١

به معنى عامًا فيكون: أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني، والترتيب المكاني، والترتيب العددي، والسلاسل، والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس، والأنواع، والأحوال الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والجماعية. وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضي، والنظام الطبيعي، والنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي»[١].

والنظام الاجتماعي عبارة عن الأفعال التي يقوم بها الإنسان، والعلائق المختلفة في حياته الاجتماعية كعلائق الآباء بالأبناء والزوج بالزوجة، وأفراد المجتمع مع بعضهم البعض، وتملك الأشياء والحب والكراهية والسلام والوئام...الخ[٢].

والنظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنها النبي الأعظم في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت للتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنسانًا آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يبر والديه ولا يعمل بالعدل...الخ.

المطلب الثاني: خصائص النظام الاجتماعي:

للنظام الاجتماعي خصائص عدة، منها:

أولًا: أنَّه نِظامٌ ربانيٌّ:

نظام ربَّانيٌّ بكلياته وجزئياته، قد شرع الله سبحانه فيه للإنسان كلَّ جوانب الخير، وهو أعلم وأحكم، فالذي أحكمَ الخلق وأتمَّه، أنزل التشريع وأتمَّه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]. وفي النظام الاجتماعي في الإسلام جاءت التوجيهات الإلهية، والرعاية الربَّانيَّةُ لكل جوانب حياة الفرد والأسرة، والجماعة والأمة؛ قد سمع الله سبحانه مناجاة امرأة مؤمنة، ومجادَلَتَها

(١) منهل الثقافة التربوية:١.

(٢) ينظر: النظام الاجتماعي في الإسلام، السيد هاشم الموسوي:٣٣.

في حاجة من حوائجها، فكيف إذا كانت حاجات المجتمع بكامله، ففي هذا النظام الاجتماعي تتجلى رحمة الله، ويظهر لُطفه بخلقه، وفي الآيات القرآنية التي تُبَيِّنُ القواعد والآداب الاجتماعية وغيرها، تكتمل النعمة والمِنَّة الإلهية على البشرية بالهداية لها في سبيل حياتها، بعد نعمة الخلق والإكرام(١).

ثانيًا: أنه نظام متوازن:

فالنظام الاجتماعيّ في الإسلام تَتَوازَنُ فيه حقوقُ المرأة وحقوق الرجل، حقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات فيما بينها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: ١٣] تتوازن فيه متطلَّباتُ الإنسانِ العاطفيَّةُ والعقليَّةُ، ومُيُولُهُ ورغباتُه الجسديةُ والروحيةُ، فلا يطْغَى جانبٌ على حِساب جانب آخر، فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالمين، الذي أنعم علينا بهذا التشريع الميسَّر، والنظام الاجتماعي(٢).

ثالثًا: أنه نظام متكامل:

النّظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على التَّكامُل بين الأفراد، الذَّكَر والأنثى كلٌّ له رسالة محدَّدة يُكمِّل بعضهم بعضًا، والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، تقوم على أن يُحِبَّ الفرد المسلمُ لأخيه ما يحب لنفسه، فهم كالبُنيان، وكالجسد الواحد يُكمِّل بَعْضُهم البعض، الغَنِيُّ مع الفقير تقوم حياتهم على التكامل والتكافل؛ لا على الحسد والتباغض والصراعِ الطبقيِّ المَقِيت الذي يظهر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وأيضًا التكامل في المهمات المتعدِّدَة، والأنشطة والمواهب الإنسانية التي يُكمِّل بعضها بعضًا، فلا يستطيع الفرد أن يصنع لنفسه كلَّ حاجاته؛ ولكن الجماعة هي

(١) ينظر: خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام: د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز الصويغ:٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:٥.

التي تتحقَّق في رحابِها جميعُ معاني التكامل في الحياة، والتكافل الذي يحقِّق مصالح الدنيا والآخرة[١].

المطلب الثالث: التعريف بسورة الإسراء:

سورة الإسراء هي إحدى سور القرآن العظيمة التي أنزلت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتسمى سورة بني إسرائيل، وسورة سبحان، والأقصى[٢]. واختلفوا فيها فمنهم من قال: مكية[٣]، ومنهم من قال: مكية إلا ثلاث آيات[٤]، ومنهم من قال: مكية إلا ثمان آيات[٥]، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية[٦].

وفي سورة الإسراء إشارة إلى حادث الإسراء النبوي، ومجموعة من الوصايا والأوامر والنواهي والحكم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وفيها استطرادات إلى أحداث بني إسرائيل التاريخية وإلى قصة آدم وإبليس وقصة موسى وفرعون في معرض التمثيل والموعظة، وفيها حكاية لمواقف الكفار وعقائدهم وأقوالهم وتعجيزاتهم عما انزل عليهم ومناقشتهم فيها وتسفيههم، وإشارة إلى محاولات الكفار لزحزحة النبي صلى الله عليه وآله

(١) ينظر: خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام:٧-٨.

(٢) ينظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَىَ مَقَاصِدِ السِّوَرِ، البقاعي:٢/ ٢٢٨،وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين:٣/ ٢١٣.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي:٣/ ١٠٤.

(٤) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير الثعالبي تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود:٣/ ٤٤٩، و فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني:٣/ ٢٤٥.

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم:٣/ ١٠٩، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي:١/ ٦١٤، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الحسني تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان:٣/ ١٧٩، والتفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي:٥/ ٣٩٨.

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،٤/ ٣٢١، والتفسير المظهري:٥/ ٣٩٨، والموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين،تحقيق: عبد العزيز بن عثمان:٥/ ٦١.

عن بعض ما يدعو إليه ومساومته، وإلى بعض أزماته، وفيها أيضا حكاية لموقف بعض علماء الكتابيين وإيمانهم بالقرآن، وإشادة بالقرآن في مواضع عديدة، وتنويه بما فيه من حق وهدى وروحانية وشفاء وإعجاز، وفصولها مترابطة وآياتها متوازنة ومتساوقة مما يمكن أن يلهم أن فصولها نزلت متلاحقة إلى أن تمَّت[١].

المطلب الرابع: النظام الاجتماعي في سورة الإسراء:

عرضت سورة الإسراء عددا من النظم الاجتماعيَّة التي تنظِّم حياة الإنسان، ومن هذه النظم:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموما: يقول: تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه وليّ ينصرك ويدفع عنك»[٢] أمَّا الزمخشري فقد قال في بيان هذه الآية: «فَتَقْعُدَ من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت، كأنها حربة بمعنى صارت، يعنى: فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك، والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له»[٣]. والخطاب في هذه الآية الكريمة للرسولﷺ والمراد به أمته ولكل أحد[٤].

(١) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت:٣/ ٣٥١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر:١٧/ ٤١٢.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٢/ ٦٥٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم:١٠/ ٢٣٦، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي:٣/ ٢٥١.

ثانيًا: النهي عن قتل الأولاد:

قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيرًا**﴾ [سورة الإسراء:٣١].

قال البيضاوي في بيان الآية المباركة:«﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**﴾ مخافة الفاقة، وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيرًا**﴾ فقتلهم ذنب كبير لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع، و(خِطْأً) الإثم يقال خطئ خطأ كأثم إثمًا[١]، أما ابن كثير فقال:«هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدِ بِوَلَدِهِ؛ لِأَنَّهُ ينهى عَنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ، كَمَا أَوْصَى بِالْأَوْلَادِ فِي الْمِيرَاثِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ الْبَنَاتِ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ رُبَّمَا قَتَلَ ابْنَتَهُ لِئَلَّا تَكْثُرَ عَيْلَتُهُ، فَنَهَى اللَّهُ [تَعَالَى] عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**﴾ أَيْ: خَوْفَ أَنْ تَفْتَقِرُوا فِي ثَانِي الْحَالِ؛ وَلِهَذَا قَدَّمَ الِاهْتِمَامَ بِرِزْقِهِمْ فَقَالَ: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾»[٢]. بينت هذه الآية الكريمة النهي عن قتل الأولاد خوفا من الفقر المتوقع، بمعنى الفقر لم يقع بعد، وقدّم ضمير الأبناء على ضمير الآباء؛ لأنَّ الإملاق مترقب من الإنفاق عليهم غير حاصل في حال القتل[٣].

ثالثًا: احترام الوالدين:

قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[سورة الإسراء:٢٣-٢٤].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم:٥/ ٧١-٧٢.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي:١١/ ٤٠٨، و تفسير الجلالين،جلال الدين محمد بن أحمد المحلي،وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:٣٦٩.

إنَّ بر الوالدين من الأسس المهمة لبناء الحياة الاجتماعية والإنسانية، فبرُّ الوالدين يبث الرحمة والمودة بين أفراد الأسرة الصغيرة، كما أنَّ المحبة والعطف المتبادل بين الوالدين وأبنائهم يربي الأطفال عاطفيا ونفسيًا حتى يتكون لديهم الاستقرار النفسي والعاطفي وبعطف الوالدين ورحمتهم لأبنائهم، وبر الأولاد بوالديهم تُبنى الأسرة السليمة الصالحة التي تقوى فيها روابط الحب والعطف والشفقة المتبادل بين الأبناء ووالديهم مما يهيئ البيئة الصحيحة لتكوين الفرد الصالح السليم الذي يسهم بشكل فاعل في بناء مجتمعه والنهوض بأمته والذي يكون رحيمًا بإخوانه المسلمين[١].

قال الطبري: «يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره، وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحد امر ﴿**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾»[٢]. وبعد ذلك تحدث عن قوله تعالى:«﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما...﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا**﴾.وقوله ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذّى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك[٣]، وقال أحد العلماء:«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا**﴾ وقضى ربك مَعْنَاهُ أَمَرَ رَبُّك وَأَمَرَ بِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَأَوْصَى بِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ أَمْرٌ وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ تَعَالَى بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ... قَوْله تَعَالَى ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما**﴾ قِيلَ فِيهِ إنْ بَلَغْت حَالَ الْكِبَرِ وَهُوَ حَالُ التَّكْلِيفِ وَقَدْ بَقِيَ مَعَك أَبَوَاك أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَذَكَرَ لَيْثٌ عن مجاهد قال لا تقل لهما إذا

(١) ينظر: بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، دراسة علمية جادة تقدم انموذجًا مقترحًا للبر بالوالدين، عبدالله بن عبد اللطيف العقيل، تحقيق: عبدالله بن عبد العزيز العقلا:١٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٤١٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج:٣/ ٢٣٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٤١٤-٤١٥.

بلغا من الكبر ما كان يليا مِنْك فِي الصِّغَرِ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ... قَوْله تعالى ﴿**وَلا تَنْهَرْهُما**﴾ معناه لا تزجرهما عَلَى وَجْهِ الِاسْتِخْفَافِ وقال هشام ابن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ قَالَ لَا تَمْنَعْهُمَا شَيْئًا يُرِيدَانِهِ»[1] و«قَوْله تَعَالَى ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيرًا**﴾ فِيهِ الْأَمْرُ بِالدُّعَاءِ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ إذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى فَعَلِمْنَا أَنَّ مُرَادَهُ بِالدُّعَاءِ لِلْوَالِدَيْنِ خَاصٌّ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَةِ تَأْكِيدَ حَقِّ الْأَبَوَيْنِ فَقَرَنَ الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إلَيْهِمَا إلَى الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ ﴿**وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا**﴾ ثُمَّ بَيَّنَ صِفَةَ الْإِحْسَانِ إلَيْهِمَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْمُخَاطَبَةِ الْجَمِيلَةِ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ وَنَهَى عَنْ التَّبَرُّمِ وَالتَّضَجُّرِ»[2] أما النيسابوري فقال في بيان هذه الآيات المباركة:«﴿**وقضى**﴾ وأمر ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلَّا إيَّاه وبالوالدين إحسانًا**﴾ وأمرَ إحسانًا بالوالدين ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا**﴾ يقول: إن عاش أحد والديك حتى يشيب ويكبر أو هما جميعًا ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾ (لا تقل لهما رديئًا) من الكلام ولا تستثقلنَّ شيئًا من أمرهما ﴿**ولا تنهرهما**﴾ لا تواجههما بكلام تزجرهما به ﴿**وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ ليِّنًا لطيفًا ﴿**وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ**﴾ ألن لهما جانبك واخضع لهما ﴿**من الرحمة**﴾ أَيْ: من رقَّتك عليهما وشفقتك ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَمَا رَبَّيانِي**﴾ مثل رحمتهما إيَّاي فِي صغري حتى ربَّياني ﴿**صغيرًا**﴾»[3].

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي:٥/ ١٩-٢٠، وينظر: ٣٢ الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني:١/ ٤٤٩.
(٢) أحكام القرآن:٥/ ٢٠.
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي:٦٣١-٦٣٢.

رابعًا: التوسط في الإنفاق:

قال تعالى:﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[سورة الإسراء:٢٩].

وضح الماوردي[١] في بيان هذه الآية المباركة:﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فتقعد ملوما محسورا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾، أما الرازي فقال: «فَهَهُنَا أَمَرَ رَسُولَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَقَالَ: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ**﴾ أَيْ لَا تُمْسِكْ عَنِ الْإِنْفَاقِ بِحَيْثُ تُضَيِّقُ عَلَى نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ فِي وُجُوهِ صِلَةِ الرَّحِمِ وَسَبِيلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَجْعَلْ يَدَكَ فِي انْقِبَاضِهَا كَالْمَغْلُولَةِ الْمَمْنُوعَةِ مِنَ الِانْبِسَاطِ: ﴿**وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ أَيْ وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي الْإِنْفَاقِ تَوَسُّعًا مُفْرِطًا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي يَدِكَ شَيْءٌ. وَحَاصِلُ الْكَلَامِ: أَنَّ الْحُكَمَاءَ ذَكَرُوا فِي كُتُبِ «الْأَخْلَاقِ» أَنَّ لِكُلِّ خُلُقٍ طَرَفَيْ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، فَالْبُخْلُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِمْسَاكِ، وَالتَّبْذِيرُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِنْفَاقِ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، وَالْخُلُقُ الْفَاضِلُ هُوَ الْعَدْلُ وَالْوَسَطُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [سورة الْبَقَرَةِ: ١٤٣]»[٢].

وقال ابن كثير:«يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بِالِاقْتِصَادِ فِي الْعَيْشِ ذَامًّا لِلْبُخْلِ نَاهِيًا عَنِ السَّرَف: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**﴾ أَيْ: لَا تَكُنْ بَخِيلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [سورة الْمَائِدَةِ: ٦٤] أَيْ نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ، وَقَوْلُهُ: ﴿**وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ أَيْ: وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. وَهَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ أَيْ: فَتَقْعُدَ إِنْ بَخِلْتَ مَلُومًا، يَلُومُكَ النَّاسُ وَيَذُمُّونَكَ وَيَسْتَغْنُونَ عَنْكَ... وَمَتَى بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، قَعَدْتَ بِلَا شَيْءٍ تُنْفِقُهُ، فَتَكُونَ كَالْحَسِيرِ، وَهُوَ: الدَّابَّةُ الَّتِي قَدْ عَجَزَتْ عَنِ السَّيْرِ»[٣].

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم:٣/ ٢٣٩.
(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:٢٠/ ٣٢٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم:٥/ ٧٠.

خامسًا: النهي عن الزنا:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [سورة الإسراء:٣٢].

قال الطبري في بيان الآية المباركة: ﴿**لا تَقْرَبُوا**﴾ أيها الناس ﴿**الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾ يقول: إن الزّنا كان فاحشة ﴿**وَساءَ سَبِيلا**﴾ يقول: وساء طريق الزنا طريقا، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم[١]، وقال الجصاص في توضيح الآية المباركة: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلًا**﴾، فِيهِ الْإِخْبَارُ بِتَحْرِيمِ الزِّنَا وَأَنَّهُ قَبِيحٌ؛ لِأَنَّ الفاحشة هي التي قد تفاحش قبحها وَعَظُمَ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الزِّنَا قَبِيحٌ فِي الْعَقْلِ قَبْلَ وُرُودِ السَّمْعِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سماه فاحشة ولم يخصص به حاله قَبْلَ وُرُودِ السَّمْعِ أَوْ بَعْدَهُ، وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الزِّنَا قَبِيحٌ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الزَّانِيَةَ لَا نَسَبَ لِوَلَدِهَا مِنْ قِبَلِ الْأَبِ؛ إذْ لَيْسَ بَعْضُ الزُّنَاةِ أَوْلَى بِهِ لَحَاقُهُ بِهِ مِنْ بَعْضٍ فَفِيهِ قَطْعُ الْأَنْسَابِ وَمَنْعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ الْحُرُمَاتِ فِي الْمَوَارِيثِ وَالْمُنَاكَحَاتِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَإِبْطَالِ حَقِّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ مِنْ الْحُقُوقِ الَّتِي تَبْطُلُ مَعَ الزِّنَا وَذَلِكَ قَبِيحٌ فِي الْعُقُولِ مُسْتَنْكَرٌ فِي الْعَادَاتِ[٢]، أما أبو السعود فقال في بيانها: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ بمباشرة مباديه القريبةِ أو البعيدة فضلًا عن مباشرته وإنما نهى عن قُربانه على خلاف ما سبق ولحِق من القتل للمبالغةِ في النَّهي عن نفسه، ولأن قربانه داعٍ إلى مباشرته وتوسيط النهي... ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾، فَعلةً ظاهرةَ القبح متجاوزةً عن الحد، ﴿**وَسَاء سَبِيلًا**﴾ أي بئس طريقًا طريقه فإنه غصْبُ الابضاعِ المؤدّي إلى اختلال أمر الأنسابِ وهيَجانِ الفتن[٣].

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٤٣٨.
(٢) ينظر: أحكام القرآن:٥/ ٢٤.
(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:١٦٩-١٧٠.

سادسًا: النهي عن التصرف بمال اليتيم:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [سورة الإسراء:٣٤].

بين القرطبي هذه الآية بقوله: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**﴾ بأكل، إسرافا وبدارا أن يَكْبَروا، ولكن اقرَبوه بالفَعْلة التي هي أحسن، والخَلَّة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرّفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة[١].

وجاز التصرف بماله للمسؤول عليه «لِأَنَّ الْيَتِيمَ إِلَى ذَلِكَ أَحْوَجُ وَالطَّمَعُ فِي مِثْلِهِ أَكْثَرُ، وَقَدْ انْتَظَمَ قَوْلُهُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ جَوَازُ التَّصَرُّفِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ لِلْوَالِي عَلَيْهِ مِنْ جَدٍّ أَوْ وَصِيِّ أَبٍ لِسَائِرِ مَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَحْسَنَ مَا كَانَ فِيهِ حِفْظُ مَالِهِ وَتَثْمِيرُهُ فَجَائِزٌ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَبِيعَ وَيَشْتَرِيَ لِلْيَتِيمِ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَى الْيَتِيمِ فِيهِ، وَبِمِثْلِ الْقِيمَةِ وَأَقَلِّ مِنْهَا مِمَّا يَتَغَابَنُ النَّاسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ قَدْ يَرَوْنَ ذَلِكَ حَطًّا لِمَا يَرْجُونَ فِيهِ مِنْ الرِّبْحِ وَالزِّيَادَةِ؛ وَلِأَنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنْ النُّقْصَانِ مما يختلف المقومون فيه فلم يثبت هُنَاكَ حَطِيطَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يشترى بأكثر من المقومون فيه فلم يثبت هُنَاكَ حَطِيطَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ الْقِيمَةِ بِمَا لَا يَتَغَابَنُ النَّاسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ ضَرَرًا عَلَى الْيَتِيمِ»[٢].

قال الماوردي في توضيح المعنى المراد: «﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ قوله عز وجل: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج، والطمع في ماله أكثر. وفي قوله ﴿**إلَّا بالتي هي أحسن**﴾ قولان: أحدهما: حفظ أصوله وتثمير فروعه، وهو محتمل. الثاني: أن التي هي أحسن التجارة له بماله. ﴿**حتى يَبْلُغَ أَشدَّه**﴾ وفي الأشد وجهان: أحدهما:

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ٤٤٤.
(٢) أحكام القرآن:٥/ ٢٦.

أنه القوة. الثاني: المنتهى. وفي زمانه ها هنا قولان: أحدهما: ثماني عشرة سنة. والثاني: الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد»[١].

سابعًا: الحث على العدل في الميزان:

قال تعالى:﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [سورة الإسراء:٣٥].

حثَّ الله عز وجل على العدل في الميزان وعدم اللعب فيه وبين العلماء ذلك في تراثهم: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ**﴾ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ إتمام الكيل وذكر والوعيد الشَّدِيدِ فِي نُقْصَانِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾ [سورة الْمُطَفِّفِينَ: ١- ٣]... ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ فَالْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي إِتْمَامِ الْكَيْلِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي إِتْمَامِ الْوَزْنِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ**﴾.[سورة الرَّحْمَنِ: ٩] وَقَوْلُهُ: ﴿**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [سورة هُودٍ: ٨٥] وَاعْلَمْ أَنَّ التَّفَاوُتَ الْحَاصِلَ بِسَبَبِ نُقْصَانِ الْكَيْلِ، وَالْوَزْنِ قَلِيلٌ وَالْوَعِيدَ الْحَاصِلَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ[٢] ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ**﴾ أي أتموه إذا كلتم لغيركم ولا تبخسوه وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ أي بالميزان السوي بلا اعوجاج ولا خديعة ذلِكَ خَيْرٌ أي لكم في معاشكم لانتظام أموركم بالعدل، وإيفاء الحقوق أربابها وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أي عاقبة ومآلا إذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة[٣].

قال المراغي في بيان معنى الآية: «﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ**﴾ أي وأتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم، فإن كلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم تفوا بالكيل ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ أي وزنوا بالميزان

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون:٣/ ٢٤١.
(٢) مفاتيح الغيب:٢٠/ ٢٣٨.
(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي،تحقيق: محمد باسل عيون السود:٦/ ٤٦٠.

العدل دون شيء من الجور أو الحيف، لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء»[١].

وقال سيد قطب في توضيح هذه الآية:«إيفاء الكيل والاستقامة في الوزن، أمانة في التعامل، ونظافة في القلب، يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس، وتتم بهما البركة في الحياة. ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾.. خير في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة... والطمع في الكيل والوزن قذارة وصغار في النفس، وغش وخيانة في التعامل تتزعزع بهما الثقة، ويتبعها الكساد، وتقل بهما البركة في محيط الجماعة، فيرتد هذا على الأفراد وهم يحسبون أنهم كاسبون بالتطفيف. وهو كسب ظاهري ووقتي، لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين»[٢] «وهذه حقيقة أدركها بعيد والنظر في عالم التجارة فاتبعوها، ولم يكن الدافع الأخلاقي، أو الحافز الديني هو الباعث عليها بل مجرد إدراكها في واقع السوق بالتجربة العملية. والفارق بين من يلتزم إيفاء الكيل والميزان تجارة، ومن يلتزمه اعتقادا.. أن هذا يحقق أهداف ذاك ويزيد عليه نظافة القلب والتطلع في نشاطه العملي إلى آفاق أعلى من الأرض، وأوسع في تصور الحياة وتذوقها»[٣].

(١) تفسير المراغي:٤٥.
(٢) في ظلال القرآن:٤/ ٢٢٢٦-٢٢٢٧.
(٣) المصدر نفسه:٤/ ٢٢٢٧.

الخاتمة:

بعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه أنهيت هذه الدراسة المتواضعة التي كانت بعنوان:(النظام الاجتماعي في القرآن الكريم سورة الإسراء مثالا)وقد توصلت الدارسة إلى نتائج عدة من أهمها:

١. النظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنَّها النبي الأعظم في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنسانًا آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يبر والديه ولا يعمل بالعدل.

٢. احتوت سورة الإسراء على أوامر ونواهي عدَّة يجب على المسلم الالتزام بها.

٣. بر الأولاد بوالديهم تُبنى الأسرة السليمة الصالحة التي تقوى فيها روابط الحب والعطف والشفقة المتبادل بين الأبناء ووالديهم مما يهيئ البيئة الصحيحة لتكوين الفرد الصالح السليم الذي يسهم بشكل فاعل في بناء المجتمع.

٤. تحريم الله عز وجل للزنا، ذلك لما فيه من أضرار اجتماعية ودينية تؤثر على المجتمع الإسلامي.

٥. نهى الرحمن سبحانه وتعالى عن التصرف بمال اليتيم،المؤدي إلى هلاكه؛ لأنَّ اليتيم يحتاج إلى من ينفق عليه ويتكلف بمعيشته.

٦. حثَّ الله عز وجل على الاعتدال في الصرف على العائلة، فلا يكون الشخص بخيلا كل البخل، و لا يكون مبذِّرا خارجًا عن الحدود.

المصادر والمراجع:-

القرآن الكريم:

أولًا: الكتب:

٧. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الـرازي الجصاص تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ١٤١٩ هـ هذه الطبعة تنتهي بآخر سورة القمر، من أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٠. بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، دراسة علمية جادة تقدم انموذجًا مقترحًا للبر بالوالدين، عبدالله بن عبد اللطيف العقيل، تحقيق: عبدالله بن عبد العزيز العقلا،، الرياض، الطبعة الأولى:١٤٢٥ه، الطبعة الثانية:١٤٢٧ه، الطبعة الثالثة: ١٤٢٩-١٤٣١هـ.

١١. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢. تفسير الجلالين،جلال الدين محمد بن أحمد المحلي،وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٣. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٦. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٧. التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله،تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.

١٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهـري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف

الثعالبي تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٢٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٤. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان،الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٢٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ ه–.

٢٦. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٢٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى –١٤١٨ هـ.

٣٠. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٧ هـ.

٣١. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لـلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى»، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٣٧. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين،تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

٣٨. النظام الاجتماعي في الإسلام، السيد هاشم الموسوي، دار الصفوة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية:-

٤١. شبكة الألوكة، خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز الصويغ.

٤٢. منهل الثقافة التربوية، د. سعيّد علي الغامدي.